من هي المرأة الصالحة في الإسلام

تأليف
خالد عبد العظيم متولي

مكتبة علوم القرآن

كز المرأة للدراسات والاست
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ف: ٢٤٤٦٠٢٣
رقم ٧١
٢١٠,٤
م خ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من هي المرأة الصالحة في الإسلام

خالد عبدالعظيم متولي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م

مَنْ هِيَ

المَرْأةُ الصَّالِحَةُ

في الإسْلامِ

تأليفُ
خالد عبد العليم متولي

مؤسسة علوم القرآن
الشارقة

« الدنيا متاعٌ ، وخيرُ متاعِها المرأةُ الصالحةُ »

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

أما بعد :

إذا تربع الإيمان على عروش القلوب ، ورسخت جذورُه في الضمائر ، فلا يجد المؤمن له راحة وسكناً إلا في طاعة ربه وتسليم قياده له ، فالله أعلم بمصلحة عباده .

وشرع لهم ديناً يحفظ حياتهم من الخوف والقلق ، ويحميها من الهلاك والدمار ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

ولا يستطيع عبد أن يحيط بمصالح العباد ، ولا أن يقنن لهم ديناً ومنهجاً يحفظ حياتهم من الضياع ، لأنَّه عبد مثلهم ، فيه ما فيهم من العجز والقصور ، إنما الذي يرسم منهج الحياة هو الذي أحاط بكل شيء علماً ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وهذه كلها ليست إلا لله وحده ، الذي نحبه ونعبده ونتوكل عليه .

وإذا كانت الأسرة الصالحة هي اللبنة الأساس في بناء صرح المجتمع الإسلامي ، فإنَّ المرأة الصالحة هي المركز في دائرة الأسرة ، منها وإليها يكون السكن والهدوء ، والراحة ثم التربية ، والتزكية ، ثم الأجيال الصالحة التي تحمل الأمانة ، وتثمر في الحياة الخير والحق .

فالذي يبحث عن السكن والمودة والرحمة ، ويبتغي محضناً طاهراً لذرية صالحة ، وتتوق نفسُه إلى حياة طيبة هادئة ، فإنّه حتماً سيبدأ بالبحث عن المرأة الصالحة ، فعندها تتلاقى هذه الرغبات كلها ، ومنها يمده الله بالزاد الذي يعينه على المضي في طريق الحق ، ويمسح به عنه عناء الحياة . . .

* * *

من هي المرأة الصالحة ؟ وما هي المعايير التي توزن بها ؟ وكيف نحدد ملامحها ؟

إن الإجابة لا ينبغي أن تنبع من الخيال ، ولا أن تكون وليدة

الظنون والأوهام ، ولكننا نأخذ هذه المواصفات من مصدرين اثنين نجد فيهما الدقةَ في الوصف ، والأمانةَ في النصح ، ألا وهما : الكتاب والسنة .

فما رآه الشرع حسناً فهو حسن ، وما رآه الشرع قبيحاً فهو قبيح ، والشرع لم يجعل العقل مصدراً من مصادر التشريع ، ولكنه فقط يدلنا على الحكمة من وراء النصوص ، فالعقول متفاوتة ، وقدرتها محدودة قاصرة ، وأما ما جاءنا عن ربنا فهو الحق الذي تلتقي عليه العقول الواعية ، ولا ترفضه إلا العقول الواهية .

وهذه الرسالة إنما هي لمن ينشد زوجة صالحةً وكيف يستدل عليها ؟

وهي للمتزوج ليأخذ بيد زوجته إلى القمة التي ترفع قدرها ، وينتفع هو بنفسه من بعدُ ثمراتها .

وهي للمؤمنة الصادقة لتزنَ نفسها بميزان لا يحابي أحداً يريد منه غرضاً أو مصلحة .

والله يهدينا سواء السبيل ، ويرزقنا الحكمة في البلاغ ، ويجنبنا مواطن الزلل ، ويرفع هممنا لبلوغ مراده منا .

والله المستعان ، وعليه البلاغ ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

خالد عبد العليم متولي

« فاظفرْ بذاتِ الدِّينِ تربتْ يداك »

الرغبة في الزواج فطرة ، والهروبِ منه رهبانية ، ولا رهبانيةَ في الإسلام ، فقد خلق الله فينا الشهوة ، وشرع لنا الطريق لإشباعها بطريقة سوية ، ودلَّنا على كيفية الاختيار لمن نجد عندها سكونَ النفس وإشباعَ الشهوة ودوامَ العشرة .

والناس يقصدون في العادة من المرأة خصالًا أربعاً : المال ، والحسب ، والجمال ، والدين . والثلاثة الأولى يشترك معنا فيها غير المسلمين ، أما الدين فهو الخصلة التي تتميز بها المؤمنة عن غيرها .

والدين خصلة جامعة للخصال كلها ، فكفى بالدين غنى يرفع همة النفس عن سؤال الخلق ، فالغنى غنى النفس ، والدين هو أعظم حسَبٍ يشرُفُ به الإنسان ، وجمال الخُلُق أبهى وأعظم من جمال الخَلْق .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ : لمالِها ، ولحسبِها ، ولجمالِها ، ولدينِها ، فاظفرْ بذاتِ الدِّينِ تربتْ يداك » .

ومعنى (تربت يداك) : أي لصقت بالتراب ، وهو دعاءٌ عليه

بالفقر إن لم يظفر بذات الدين » وقيل : هي كلمة مدحٍ وثناءٍ ، أي أصبت الخير والبركة إن ظفرت بذات الدين .

ولماذا ذات الدين ؟

لأنه لو غاب الدين فقد فُتح الباب لضياع خصال المرأة كلها ، فالمرأة التي لا دين لها لا بصيرة ولا عقل لها ، فربما جنت عليها شهوتها في حب الظهور أو الاستعلاء على الآخرين ، أو الانبهار بالزخارف والزينة ـ والتي غالباً ما تستهوي العقول الضحلة ـ فتنفق المال كله ، وتكون كالشارب من البحر ، كلما ازداد شرباً كلما ازداد عطشاً .

ولو غاب الدين انفلتت خطاها في الحياة ، فوقعت في المحظور ، وإن لم تقع ، فيتجرأ عليها من لا دين له ، لينتزع منها بقية الخير فيها ، وهذا الباب تضيع معه الأحساب ، وتتدنس به الأنساب .

ولو غاب الدين ساء الخُلُق ، فيجني بدوره على جمال الخلقة ، فكم من امرأة جميلة يتحاشاها الناس لسوء خلقها ، ويريدون الاستمتاع بالنظر إليها ، دون الاقتراب منها ، فتتحول بدورها إلى دمية للعرض أمام الناظرين ، لا قيمة لها سوى أنها سلعة لمتعة العيون ، وليست درة ثمينة وجوهرة غالية تهابها العيون .

هذا هو مفرق الطريق عند الاختيار ، فنقطة البداية تتضح منها

معالم النهاية . وإذا كان صلاح النهاية يرتبط بصلاح البداية ، فالعاقل هو الذي يضع قدمه على طريق الوصول ، وينأى بنفسه عن الطريق المجهول . وتصبح نقطة الانطلاق في زواجه بدايتها الظفر ، والفوز بذات الدين ، وهذا بدوره سيجعله يضحّي بالكثير من خضراء الدمن ـ وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء ـ ولن يخدعه الالتماع الكاذب، في كثير من الجيف الطافحة في الطرقات . ولن يقوده هواه لحياة ظاهرها المتعة وباطنها العذاب . وإنما يكون دليله في البحث هو قلبه الحي . وبصيرته المؤمنة . حتى يرزقه الله الزوجة الصالحة ، وإذا تم التوفيق . حمدَ الله ذا المن والفضل أن أعانه على شطر دينه . وآتاه في دنياه حسنة . وما عليه إلا أن يتقي الله في الشطر الثاني .

فمن هي المرأة الصالحة ؟ وما هي أهم معالمها وصفاتها التي تميزها عن غيرها ؟

نرى في الكتاب والسنة بعض هذه الملامح التي ترسم صورة جلية واضحة للمرأة الصالحة ، زوجة كانت أو أماً أو بنتاً أو أختاً .

وهذه هي أهم المعالم ـ وإن لم تكن كلها ـ التي تجعلنا نضع أيدينا على الصورة المرجوة للمرأة الصالحة :

أ ـ ذات الدين

الدين عقيدة وسلوك ، ومنهج حياة يصوغها كلها من بدايتها إلى نهايتها حسب أمرُ الله .

والعقيدة والسلوك ؛ أو الإيمان والعبادة ؛ كالروح والجسد ، وهما وجهان لعملة واحدة ، فالسلوك ثمرة العقيدة التي استقرت في القلب فهماً وتصوّراً ، ولو انفصل السلوك عن عقيدة القلب لأصبح الدين صورة في حياة الإنسان لا روح فيها ، والجسد الميت لا مكان له في الحياة ، بل مصيره إلى القبر والتراب .

وأكبر الفتن التي تصد الناس عن اتباع الحق هو هذا الفصام النكد بين عقائد القلوب وأعمال الجوارح ، فالإيمان الصادق هو ما وقر في القلب وصدقه العمل .

ودين المرأة المقصود هو صحة العقيدة وصحة السلوك ، وإذا كانت العقيدة غيباً لا يطلع عليه إلا عالم السرائر جلَّ وعلا ، فلا ميدان لمعرفة ما استقرَّ في القلب إلا رؤية السلوك ، فالسلوك هو مظهر الإيمان الذي امتلأ به الفؤاد ، ثم فاض على الجوارح . ونحن نستدل على طيب الجذور بطيب ثمارها ، فإذا كان الجذر غامراً في الأرض لا يراه أحد ، فالثمرة هي البرهان على صلاح الجذر ، ولو فسدت الثمرة فهذا دليل على فساد جذرها .

وإذا كان الحجاب شعيرة من شعائر الله ، تتميز به المرأة المؤمنة المسلمة عن غيرها ، فهو خطوة على الطريق ، وليس الغاية التي تنتهي عندها مقاصد الشرع .

وحينما جاء التهديد من الله لبعض أمهات المؤمنين حينما أفشى بعضهن سرَّ رسول الله ﷺ ، فقد ذكر الله تعالى صفات اللاتي سيبدله بهن ، وذكر في البداية صفة الخيرية ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] وهذه الخيرية هي وصف لما تضمنته الآية من صفات .

متى يُقال عن المرأة : أنها ذات دين ؟

أولًا : يجب النظر إلى المنبت الذي نشأت فيه ، فهو المحضن الذي تمتص منه القيم ، والنبتة تأخذ زادها من الأرض التي زُرعت فيها .

وثانياً : النظر إلى استمدادها لطاعة ربها ، وقبول ما جاءت به الشريعة عن طيب نفس ، دون جدال أو عناد ، وهذا ما تشير إليه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فالمقياس الذي توزن به ذات الدين ليس هو بقدر ما تحفظه من آيات وأحاديث فقط ، بل بقدر ما هو رغبتها في الإذعان

والرضى بكل ما تمليه عليها الشريعة ، فربما توجد امرأة لا حظَّ لها في حفظ النصوص الشرعية ، ولكنها ذات استعداد هائل لقبول الحق ، والاستقامة عليه .

والعلم يترقى لديها بجهدها ، ولكنَّ أولَ العلم هو تهيئةُ القلب لقبول الحق ، ثم المسارعة إلى ترجمته سلوكاً وعملاً .

وثالثاً : **حفظ الحقوق لمن يعيشون حولها** ، فذات الدين توقِّر أباها ، وتحترم أخاها ، وتحبُّ أمَّها ، ومن ثَمَّ ينعكس هذا على بيتها الجديد ، حيث تعامل زوجها بالوقار والمحبة ، وترحم أولادها رحمة واعية ، تدفعهم إلى الفضيلة ، وتنأى بهم عن الرذيلة .

فالزوجة هي الرفيق الذي يصحبه المؤمن في رحلة حياته مدة تطول عن صحبته لأهله وذويه ، وإذا كانت ذات دين فالضرر من جانبها مأمون ، والفائدة من جهتها مرجوة ، ببركة طاعتها وتقواها ، فهذه هي ثمرة صحبة أهل الخير ، فيجب أن يكون الدين مطمحاً في كل شيء ، لا سيما فيمن تطول صحبته .

روى ابن ماجه عن ابن عمر رفعه : « لا تزوَّجوا النساءَ لحسنهنَّ، فعسى حسنُهنَّ أنْ يُرْدِيَهُنَّ - أي يُهْلِكُهُنَّ - ولا تَزَوَّجُوْهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ ، فعسَىٰ أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ ، ولكنْ تَزَوَّجُوْهُنَّ على الدِّيْنِ ، ولأَمَةٌ سَوْدَاءُ ذاتُ دِيْنٍ أَفْضَلُ » .

إن الجمال يبلى ، والمال يغدو ويروح ، أما الدِّين فهو الثروة

التي تصحب صاحبها حياً وميتاً .

وذات الدين متميزة في سيرتها ، فلا تلغو ولا تلهو ، وتحفظ جوارحها ، وتنأى بنفسها عن مجالس الباطل ، ولا تصاحب إلا من تعينها على الطاعة ، وإن صحبت بعض الغافلات فتلك ضرورة الدعوة ، لتؤثر فيهن ، لا أن تتأثر بهن ، ولتقودهن إلى الحق ، لا أن تنقاد معهن إلى الضلال .

وذات الدين متميزة في سريرتها ، فهي صافية القلب ، معتدلة المزاج ، منضبطة المشاعر ، صاحبة وعي وعقل وبصيرة ، وإيمانها يعينها لتتغلَّبَ على النقص والضعف المركوز فيها ، فتغلبُ عليها الحكمة والحلم ، وليس المكر والدهاء ، وتتحلى بالصبر والأناة ، وليس بالحيلة والكيد ، وتتجمل بالهدوء والثقة ، وتتخلى عن الهلع والتهور .

والحديث الذي يذكر أن نعمة الله على العبد بعد الإيمان هي المرأة الصالحة لم يحدد معالم دينها بما تحفظه من نصوص ، أو يحويه عقلها من معلومات ، بل دينها قائم فيها إذا نظر إليها زوجها سرته رؤيتها ، وإذا أمرها أطاعته دون جدال ومراجعة ، وإذا غاب عنها كان مطمئن الفؤاد ، هادىء البال . إنها عفيفة لا تخونه ، أو تنظر إلى غيره ، كما أنها أمينة على ماله وبيته وعياله .

إذا تحقق فيها ذلك فهذا هو دينها ، وهي حينئذ ذات دين ،

وزوجها قد أكرمه الله في دنياه بخير متاعها ، وهي المرأة الصالحة .

ذات الدين مرغوبة من الصالحين ، فهي حسنة الدنيا التي يريدون الفوز بها ، ولا يزهد فيها إلا من لا خير فيه ، فالطيبون للطيبات ، والخبيثون للخبيثات .

ومن أراد أن يدله الله على ذات الدين فليبدأ بالدعاء والافتقار كما دعا موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص : ٢٤ ـ ٢٥] فلما أظهر افتقاره بين يدي ربه ساق الله إليه من تعينه على دينه ودنياه .

* * *

٢ ـ « إذا نظرَ إليها سَرَّتْه »

المرأة الصالحة موضع السكن ، وموطن الرحمة ، ونبع الحب لزوجها الصالح ، فمن مقاصد الزواج في الإسلام حفظ الفروج عن الحرام ، وإفراغ الشهوة بطريق مشروع ، يحفظ الأنساب من الاختلاط ، ويعفُّ عن النظر إلى الحرمات ، ويؤمِّن هدوء النفس حال فوران الشهوة وجوع الجسد إلى رغبته الفطرية .

ومن هنا ، زينةُ المرأة لزوجها ـ حتى تدخلَ عليه السرور إذا رآها ـ طاعةٌ لله وقربةٌ ، تصل بها إليه ، لأنها تحصن زوجها عن النظر إلى ما حرَّمه الله عليه ، كما أنها في ذات الوقت تحظى بحبه وتعلقه بها ، فلا يلتفت إلى غيرها .

وكثير من النسوة بعد الزواج يراعين الزينة والتجمل للزوج حتى يأتي المولود الأول ، ثم تزهد من بعد في شأن نفسها ، متعللة بانشغالها بما هو أهم ، والحق الذي لا مرية فيه أن للمولود حقوقاً ، وللزوج حقوقاً ، ولا تعارض بينهما ، ولا ميدان لهضم أحدها على حساب الآخر ، وإن كان الزوج له الحق الأوجب والأول .

فالشريعة تأمرها برعاية مولودها دون الإهمال في حق زوجها ، فكلا الأمرين طاعة لله ، ولا صدام ولا تعارض بين

الطاعات ، بل لكل طاعة وقتها ، فإذا غاب الزوج عن البيت فأمامها وقت طويل لولدها ، وإذا حضر زوجها تهيأت له ، وتزينت ، لتمسح عنه عناء الحياة ، وتعب العمل ، وهذا الميدان لها فيه أجر كأجر المجاهد في سبيل الله .

إن المرأة الصالحة عاقلة واعية ، وعقلها لم ينشأ من المكر والدهاء ، وإنما يغذيه نور الإيمان والبصيرة ، وتدرك بوضوح مهمتها في الحياة ، وإذا صاغت حياتها كما يريد لها ربها ستكون هي أول السعداء ، وستنأى بنفسها وبأسرتها عن أسباب الشقاء .

إن دوام الحب وحرارة العاطفة بين الزوجين قائم على حفظ الحقوق ومعرفة الواجبات ، وهذا كله يسد الباب أمام الشيطان ، فلا يستطيع أن يدخل البيوت المؤمنة ليعربد فيها ، ويدمر سعادتها .

لذلك شدَّد الشارع الحكيم على المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه فتأبى عليه ، لأن الثمرة المرة لهذا الإباء ربما يكون البغض والكره الذي يملأ قلبه لها ، أو يتجه بالنظر إلى غيرها ، أو يحيط به قرناء السوء ، فينحرف عن الصراط المستقيم ، ويهوي إلى أودية الضلال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فلم تأتِه فباتَ غضبانَ عليها لعنتْها الملائكةُ حتى تصبحَ » متفق عليه .

وفي رواية لهما : « إذا باتَتِ المرأةُ هاجرةً فراشَ زوجِها لعنتْها الملائكةُ حتى تصبحَ » .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « والَّذي نفسي بيده ما مِنْ رجلٍ يدعو امرأتَه إلى فراشِهِ فتأبَىٰ عليه إلَّا كان الذي في السَّماءِ ساخطاً عليها حتى يرضَىٰ عنها » .

والمرأة الصالحة جميلةٌ في عين زوجها مهما طال بهما العمر ، فهي جميلة في هيئتها وابتسامة وجهها ، والرضى الذي يملأ كيانها ، وحسن سلوكها ، ورقة تصرفها ، وهي جميلة في زيها حال الفقر ، كما هي حال الغنى .

حقاً إن جمال الخُلُق ليعلو على جمال الخِلقة ، والبصير من يرزقه الله الفهم والحكمة في كل حال .

وهذه الصفة مدحها النبي ﷺ في المرأة حينما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه قوله : « خَيْرُ النساءِ امرأةٌ إذا نظرتَ إليها سرَّتْكَ ، وإذا أمرتَها أطاعتْكَ ، وإذا غِبْتَ عَنْها حَفِظَتْكَ في نفسِها ومالِكَ » ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

ومما نصحت به امرأةٌ لابنتها عندما كانت تُزف إلى زوجها : تفقدي موضع عينه وأنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ،

ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

إنَّ المرأة الجميلة في عين زوجها تقطع جذور الوسواس من قلبه إلى غيرها ، وهذا ما يجدد حرارة العاطفة ، فلا تخبو ولا تنطفىء ؛ لأن خمود العاطفة يبلِّد المشاعر ، ويتحجر معه القلب ، وتذبل بسببه المودة ، ثم يفضي ذلك إلى الجفوة والشحناء والبغضاء .

والسيرة النبوية حافلةٌ بهذه المشاعر السامية ، التي فاض بها قلب النبي ﷺ على زوجته عائشة رضي الله عنها حينما كان يناديها مرةً فيقول : « يا عائشُ » ، ومرة : « يا عُوَيشُ » ، ومرَّةً : « يا موفقةُ » . وكان يشرب الماء من موضع فيها[1] . وكان قافلاً من غزوة وهي معه ، فتأخر عن الركب معها ليسابقها في الجري . وغير ذلك[2] مما يشير إلى تدفق العاطفة ، وحرارة الصلة ، وقوة المشاعر الطيبة بين الزوجين ، وهذا كله تعليماً لهذه الأمة ، فهو ﷺ قدوتها وإمامها ، وقائدها إلى كل خير وبر ومعروف .

وحينما تُدعى المرأة إلى التجمل والزينة لزوجها ، فهذا ليس معناه فتح الباب للإسراف والتبذير والمَخِيْلةِ تحت مظلة التزين أو حجة التجمل ، فهذا الدين روحه الاعتدال والتوسط بلا إفراط

---

(١) فمها .

(٢) تُراجع هذه الروايات في « زاد المعاد » لابن القيم . و « الشفا » للقاضي عياض و « البداية والنهاية » لابن كثير .

ولا تفريط ، وإنما تهيّىء نفسها لزوجها في دائرة استطاعتها ، فهذا مما يجلب إليه السرور ، ويدخل عليه الفرح والبهجة .

إنَّ المؤمنة لا تحب أن ترى إلا زوجها ، ولا يراها إلا زوجها ، أما المنحرفة فهي تبالغ في الزينة ، ليراها غير زوجها ، وهذا يدل على شعورها بالنقص والمرض ، لأنها تستجدي نظرات من حولها ، ولا تقنع برؤية زوجها لها ، بل هي تتزين لغيره من الأجانب عنها ،لذا فإن قدرها ومكانتها تتسرب من قلب زوجها ، فيزهد فيها ، دون أن تدري ، لأنه يرى غيره شريكاً معه فيها ، كما أنها لا تزداد إلا احتقاراً وهواناً في عين من يراها ، حيث يعتبرونها متاعاً مباحاً لا صاحب له .

* * *

٣ ـ « إذا أمرَها أطاعَتْه »

الطاعة حق مشروع للزوج ، فرضه الله على المرأة ، فالبيت كالسفينة لا بدَّ لها من قائد واحد ، وإلَّا هلك من فيها ، وربما تكون الزوجة أفضل خُلقاً ، وأعظم إيماناً ، وأعلى درجة ، وأطهر قلباً من زوجها ، ورغم ذلك فله حق الطاعة عليها ، حتى تستقيم حركة الحياة .

وإذا كانت الأسرة هي اللبنة الأساس في بناء الأمة ، وكالنواة في مركز الذرة ، فإن الأمة لا يصلحها خليفتان ، وإنما لها خليفة واحد ، وكذلك الأسرة لها إمام واحد .

ليست القوامة للرجل تعني السيطرة أو الزعامة كما يظن الكثيرون ، وإنما القوامة هي تحمل المسؤولية تجاه الأسرة ، والقيام بالتبعات والواجبات التي فرضها الله على الرجل نحو أهله ورعيته .

فالطاعة للزوج عزٌّ للمرأة ، وكرامة لها ، وليست ذلّاً ومهانة كما يصورها المفتونون ، الذين تربوا على موائد الغرب ، ونهلوا منه السم في العسل ، وتفرنجت عقولهم ، حتى صاروا يسبِّحون بحمدهم ، ولا يرون في الحياة تقدماً ولا حضارة إلا ما تفرزه أفكارهم وتصوراتهم ، وأنَّى لأعمى أن يقود أعمى ، وأنَّى لغريق

أن ينقذ غريقاً ، ولو نفعهم دواؤهم لنفع غيرهم ، فهم مرضى يسري الشقاء في عروقهم ، فهل هؤلاء مؤتمنون على عقائد الأمة وتصوراتها ؟

حقاً إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه .

ما هي ثمرة الطاعة للزوج ؟؟

١ ـ **محبة الله ورضاه** ، وكفى بهذه ثمرة ترنو إليها الأفئدة الطاهرة .

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيّمَا امرأةٍ ماتتْ وزوجُها عَنْهَا راضٍ دخلتِ الجَنَّةَ » . رواه الترمذيُّ .

٢ ـ **محبة الزوج واحترامه لها** ، وهذا يفيضُ عليها حناناً ورحمة ومودة ، فلا يرفض لها طلباً ، ولا يهين لها كرامة ، ولا يكسر لها خاطراً .

٣ ـ **ذرية سوية سليمة المزاج** ، فإذا رأى الصغار أمهم تطيع أباهم ، فإنهم سيقتدون بها ، ويحترمون أباهم ، ويرون في طاعته وامتثال أمره غاية المصلحة ، وقمة الرشد والسداد ، فهم يتعلقون في هذه الفترة بأمهم ، وينظرون إليها نظرة القدوة التي يُتأسى بها ، ومن ثَمَّ فلا مجال لانحراف أو انحلال في أسرة لها أب يحترمه أبناؤه ، وتطيعه زوجته .

٤ ـ **كرامة المرأة وشرفها** ، فالمرأة التي تمتثل أمر زوجها ،

تدل على طيب أصلها ، وعراقة جذورها ، وحسن تربيتها ، وشرف نسبها ، وعلو مرتبتها ، وينظر إليها الناس على أنها أصيلة ، خرجت من بيت صالح طاهر ، يعرف الشرف ، ويقدس الأدب ، ويعطي كل ذي حق حقه .

• - تضفي على المجتمع والأمة بأسرها تماسكاً وارتباطاً يجعله كله على قلب رجل واحد ، ولا غرابة في ذلك ، أليست الأمة كلها كالجسد الواحد ؟ وصحة الجسد دليل على صحة خلاياه وأعضائه ، وفساد الجسد يبدأ من فساد خلاياه وأعضائه ، فمن الأسرة يبدأ الفساد أو الصلاح ، فالأجيال التي تتدفق إلى ميدان الحياة كل يوم إنما هي إفراز لهذه الأسر ، وإذا دب الفساد في الأمة فابحث أولًا عن الأسرة ، فمنها يبدأ العلاج حيث يكمن أصل الداء .

والطاعة للزوج ليست طاعة عمياء ، ولكنها طاعة مبصرة واعية ، فلا طاعة إلَّا في المعروف ، وأما عند المعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذه الحدود ترسم الآفاق التي تصل إليها حدود الطاعة .

ويُشرع للمرأة أن تشير على زوجها ما تراه صواباً دون استعلاء وكبرياء ، ولا تدخل معه في جدال وخصام ، وإنما بالتي هي أحسن .

ويذكر التاريخ لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها موقفها

عند بدء الوحي ، حيث طمأنت قلب النبي ﷺ ، وعلمت بفطرتها ونقاء قلبها أن الله لن يخزيه أبداً ، وأشارت عليه بالذهاب إلى ورقة بن نوفل ، حيث أخبره أن الذي رآه هو الناموس الذي تنزَّل على موسى عليه السلام .

وكذلك موقف أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبيَّة حيث امتنع المسلمون عن التحلل من الإحرام ، حينما أمرهم النبي ﷺ ، وكادوا يهلكون بسبب عصيانهم لأمره ، وهنا يأتي رأي أم سلمة حيث أشارت على النبي ﷺ أن يبدأ بنفسه ، فيتحللَ من إحرامه ، فلمَّا فعل ذلك تابعه المسلمون ، ووقى الله المسلمين شراً لا يعلم مداه إلا الله .

فطاعة الزوج إذن ليست سلباً لعقل المرأة عن التفكير ، ولا حجراً عليها لإلغاء عقلها ومتابعة زوجها ، بل الطاعة هي معرفة الحدود حتى لا تختلط الأمور ، واستقامة الحياة بهدوء حتى لا يعكر صفوها كثرة الجدال والخصام والشقاق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها » رواه الترمذي وغيره . وفي رواية : « لما له من حقٍّ عليها » .

وذكر ابن قدامة في كتابه « المغني » خبراً عن رجل خرج من الغزو ، وقال لامرأته : لا تبرحي البيت ، فمرض أبوها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ تخبره أن زوجها خرج في الغزو ، وقد مرض أبوها ، وهي تستأذن لزيارته .

فقال لها : « الزمي بيتك ، وأطيعي زوجك » .

ثم بعد حين احتضر أبوها ، فأرسلت تستأذن : يا رسول الله إنَّ أبي قد احتضر أفأشهد أبي ؟

فقال لها : « الزمي بيتك وأطيعي زوجك » .

ثم مات أبوها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ : يا رسول الله إن أبي قد مات أفأشهد جنازته ؟

فقال لها : « الزمي بيتك وأطيعي زوجك » .

ثم عاد زوجها من الغزو ، وعلم بما كان ، فذهب إلى النبي ﷺ فبشَّره بقوله : « أخبر زوجتك أنَّ الله قد غفر لأبيها بحسن طاعتها لك » .

وهنا تصبح طاعة الله فوق كلِّ طاعة ، والإيمان هو الذي يقود الإنسان وليس هواه ، وهذه المرأة لو خالفت زوجها ، وعصت أمر النبي ﷺ لما منعت روح أبيها من الخروج عند حلول الأجل ، ولما جلبت له المغفرة من ربه .

وإنما وقوفها عند حدود الله ، وتضحيتها بهواها لامتثال أمر ربها ، دلَّ على حسن تربيتها ، وكمال أدبها وخلقها ، وهنا لم تأخذها حمية الجاهلية ، ولم تغفل مع وطأة مشاعر الأبوة عن حدود الشارع ، فحب الله في قلب المؤمنة أعظم وأجلُّ من محبة أي مخلوق ، وطاعته مقدَّمة على كل طاعة ، ومن طاعته سبحانه طاعة الزوج في غير معصية ، فهذا هو دينه ، وتلك هي شريعته ،

والدنيا كلها ميدان امتحان للتضحية بالأهواء والعواطف ، وليس للتضحية بالدين والشرع والأوامر .

* * *

٤ ـ « إذا غابَ عنها حَفِظَتْهُ في نَفْسِها ومالِه »

الرقابة على سلوك المؤمن تنبع من داخله ، حيث يهيمن الإيمان على قلبه وضميره ، فهو يوقن أن اللهَّ يراه ويسمعه ، ولا تخفى عليه من أعماله خافية مهما دقَّت ، لذلك فهو لا يحتاج إلى من يراقبه ، لأنَّ قلبه الحي بالإيمان هو الرقيب عليه .

وحياة الصالحين والمجاهدين كلُّها أسفار وجهاد ، وغربة ومفارقة للديار والأوطان ، فهي حياة يملؤها الجد والعمل ، ولا مكان فيها للفراغ والتقوقع في البيوت ، وهنا تبرز صفة من صفات المرأة الصالحة حينما يتركها زوجها ، ويغيب عنها لسعي على معاش ، أو جهاد في تحصيل زاد ليوم المعاد ، فهي عفيفة تحفظه في غيبته ، فلا تدخل بيته من لا يأذن له ، أو من لا يحب وجوده في غيابه ، وتحفظ نفسها عن الخروج من بيته لغير ضرورة ، حتى لا تختلط بالآخرين ، والذي قد يفتح باب غواية تميل إليها النفس خاصة عند غياب الزوج .

وقد يتعلَّل أحد بمسألة الثقة بالنفس ، وهذا من تلبيس إبليس ، وخلط الحقائق ، وكلمة حق يُراد بها باطل ، فالمؤمنة لديها من الثقة بالنفس والتعلُّق بالله ومراقبة الضمير ، ما لا يدع مجالًا للشك والريبة ، ولكنها الوقاية التي تجتث جذور الفتنة قبل

استفحالها ، فالشريعة قد جاءت بسد الذرائع ، والقضاء على المقدمات التي تُفضي إلى نتائجها ، وهذا هو المنهج الرباني الراقي والواعي ، الذي يأخذ بيد النفس البشرية خطوة خطوة حتى يعرج بها في مدارج الكمال .

وأمامنا هنا في القرآن موقفٌ للتدليل على تلك المسألة :

١ ـ حينما أمر الله آدم عليه السلام وزوجه حواء بعدم الأكل من الشجرة قال لهما : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] ولم يقل : ولا تأكلا من هذه الشجرة ، وكأنَّ مجرد القرب من الشجرة قد يغري النفسَ بالأكل منها ، أو يفتح للشيطان باباً يلج منه إلى داخل النفس ، فيوسوس لها بالخطيئة .

٢ ـ حينما نهى الله المؤمنين عن الزنى قال لهم : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء : ٣٢] . ولم يقل : ولا تزنوا ، لماذا ؟ لأنَّ الزنى هو النتيجة لمقدمات كثيرة تبدأ من النظرة ، ومن هنا جعل مجرَّد القرب من الزنى ـ أي مقدماته ـ منهي عنه ، حيث سيفضي في النهاية إلى عاقبة السوء ، وهي هتك العرض الحرام .

وكيف تحفظه إذن من نفسها ؟

بألا تعرِّض نفسها لنظر الآخرين ، وهذا الأمر وإن كان مطلوباً في حضوره ، فهو في غيابه أشد تأكيداً ، وهو ينبىء عن مدى حبها له ، واحترامها لمشاعره ، وارتباطها بفؤاده ، وحرصها على سمعته وكرامته ، فإذا تنامى إلى علم الزوج مدى حفظ زوجته

لنفسها في غيابه ، فحدِّث ولا حرج عن طوفان الحب والاحترام ، وعلو القدر والمكانة التي تحظى بها هذه المرأة التقية في قلب زوجها .

وكيف تحفظه في ماله ؟

تحفظه بأن تتقي الله فيه ، فلا تنفقه هباءً بلا منفعة أو مصلحة ، بل ترى هذا المال وديعةً قد استودعها إياه ، وهي أمينة عليه ، ترى كم عانى من الكدِّ والتعب لجمعه وتحصيله من حلال ، فتحرص على حفظه من التبديد والتبذير .

وإذا كان الشارع الحكيم قد طلب من الزوجة حفظ مال زوجها في حضوره ، فإنَّ الأمر في غيابه أشد وأحرص ، وهو بدوره علامة على إخلاصها ، وطيب عنصرها ، ونقاء معدنها .

إن الحياة الزوجة في ظلِّ الإسلام مشاركة ومعاونة ، وليست شركة تجارية يبحث كلُّ طرف من أطرافها عن الربح والكسب من ورائها ، ولا ينظر كلُّ فرد فيها كُم سيأخذ قبل أن يعطي ، فهذه المقاييس تصلح للتجارة ، ولكنها لا تصلح بحال من الأحوال للزواج ، فالزواج ليس تبادل منفعة وصفقة ينتظر صاحبها الربح من وراء الطرف الآخر ، بل هي حياة تُبنى على العطاء بلا حدود ، ولا ينتظر أحد كم سيأخذ ، لأنه حينما يعطي يأخذ احترام نفسه ، ورضا ربه ، وسعادة تغمر قلبه وفؤاده ، وكفى بهذا عطاءً وربحاً ، وسعادة وطمأنينة .

والمرأة إذا استأمنها زوجها على المال فلا تظن أن هذه غنيمة تفعل بها ما تشاء ، بل هي أمانة وليست غنيمة ، والأمين هو الذي يحفظ الأمانة ، ويؤدِّيها عند الطلب .

إنَّ حفظ المرأة لمال زوجها له ثمار هائلة ، منها :

١ ـ المحبة والثقة التي تغمر قلب زوجها من جهتها حينما يراها حريصةً على ماله الذي اكتسبه من حلال ، ويرى فيها تقدير كده وتعبه واجتهاده .

٢ ـ يرفع عن الأسرة العناء ، الذي يسببه التبذير والسرف في كماليات لا ضرورة لها ، وهذا يسد باب الحرام ، حيث ستقنع النفوس بالحلال الذي تجد فيه كفايةً لضرورات حياتها ، ولا يجعلها تطمح ببصرها إلى حدود لا طاقة لها به .

وإذا أُغلق باب الحرام فهو جُنة وحصانة يكتسبها أهل البيت ، تحميهم من سخط الله في الدنيا ، ومن عذاب جهنم يوم القيامة ، فكلُّ لحم نبت من حرام فالنار أولى به .

٣ ـ يربي في نفوس الأسرة القناعة ، وكما جاء في الأثر : « الاقتصادُ نِصْفُ المعيشةِ » .

فالنفوس التي تتربَّى على السرف تصطدم بمصائب الحياة ، فتنهار من أول وهلة ، ولا تجد لها قدرة على المواجهة .

وأما النفوس التي تمرَّست على العفاف والاقتصاد في حدود

الاعتدال ، فإنها نفوس ناضجة سوية ، لها القدرة على مواجهة مصاعب الحياة .

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « اخشوشنوا فإنَّ النعمةَ لا تدومُ » .

وإن أرادت المرأة أن تنفق من مال زوجها لصدقة أو معروف فلا يحل لها ذلك إلا بإذنه ، وإن تصدقت من مالها الذي أعطاها إياه زوجها ، فالأجر بينهما ، لأنه الأصل فيه .

أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في المرأةِ تصّدّقُ من بيتِ زوجِها ؟ قال : « لا ، إلا من قوتها ولا يحلُّ لها أن تصّدّقَ من مالِ زوجها إلا بإذنِهِ » .

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي أمامة رفعه : لا تنفقُ امرأةٌ شيئاً من بيتِ زوجِها إلا بإذنه » .

قيل : ولا الطعام ؟

قال : « ذلك أفضلُ أموالِنا » .

* * *

٥ ـ الودودة

مودة القلوب تهوّن مشقة الحياة ، وتعطي النفوس دفعة تتخطّى بها العقبات الجسام ، والبيوت التي تقوم على الحب والود جذورها قوية ، وأساسها راسخ ، وبنيتها متينة ، فلا تتأثر بعواصف المحن ، ولا تقتلعها رياح الشدائد .

والود والحب عاطفة بين طرفين ، كل منهما يمسك بطرف منها ، وقلَّما يكون لها وجود إذا انبعثت من طرف واحد دون مشاركة من الطرف الآخر .

ولكنَّ البيوت المسلمة لها مقاصد عالية ، وهمم راقية ، تعطيها قوة الصمود ، وعنصر البقاء ، وأسباب الثبات ، حتى لو خفت هذه العاطفة بين الزوجين .

فما كلُّ البيوت تُبنى على الحب ، ولكن هناك بعد المودة توجد الرحمة ، ومن قبلهما هناك السكن ، حيث يسكن كل منهما إلى الآخر ، فلا تتعلق نفسه بالحرام ، وقد رزقه الله ما يغنيه من الحلال .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

﴿ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] . وبالتفكّر في هذه الآية كما أمرنا ربنا جلَّ جلاله نرى روابط الصلة بين الزوجين لها صور ثلاثة :

١ ـ السكن : وهو طمأنينة القلب عن الفكر في الحرام ، وكف الوسوسة عن الطموح إلى المحظور ، وقضاء الوطر بما يسكب في النفس الهدوء والثقة عن السعي إلى ما لا يحل من الأعراض ، وخمود الشهوة بعد انبعاثها ، مما يفرغ النفس للطاعة والعبادة بالهمة والنشاط .

٢ ـ والمودة[1] : وهي الحب والعاطفة التي تزيد على السكن ، فربما تسكن النفس عن الحرام دون أن يكون هناك ود وحب ، وذلك في ذاته غرض شرعي محمود ، وإذا سكنت النفس وأحبت من تسكن إليه فتلك درجة أعظم ، وهي تعين بنفسها على استمرار الصلة ، وبقاء العلاقة إلى أمد طويل ، فالذي يقوم بالعمل على المحبة لا يشعر بالملل والفتور ، عكس من يقوم بالعمل على الروتين والعادة ، فسرعان ما يدب إليه الملل والرغبة في التغيير .

٣ ـ والرحمة : وهذه تظهر خاصة إذا جاء من الزوجة الولد ، واحتاجت إلى العناية والرفق والنفقة ، ربما لا يجد الإنسان سكناً ولا مودة ، ولكن يظل رباط الرحمة يربط بينهما شفقة على هذه الذرية النابتة ، لأنها ثمرة ارتباطهما ، وهنا تأتي مرحلة التضحية

---

(١) المودة لغة : هي المظهر العملي للمحبة .

بالعواطف من أجل المسؤولية التي ألقاها الشارع على عاتق الرجل ، فهو أيضاً راع ومسؤول عن رعيته .

وصفة الود في المرأة الصالحة صفة ضرورية ، وليست صفة إضافية أو هامشية ، فالتودد إلى الزوج يلين الطبيعة ، ويكسر حدة المزاج ، ويضفي على البيت الطمأنينة والأمان .

أخرج ابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تزوَّجوا الودودَ الولودَ فإنِّي مكاثِرٌ بكم يومَ القيامةِ » ، وذكره الشافعي عن ابن عمر بلفظ : « تناكَحُوا تكاثروا ، فإنِّي أُباهي بكم الأممَ » .

وحينما تزوج جابر رضي الله عنه ثيباً قال له ﷺ: « فهلاَّ تزوَّجتَ بكراً تضاحِكُكَ وتضاحِكُها ، وتلاعِبُك وتلاعِبُها » رواه مسلم .

فهذا الود وحسن العشرة مما يشعل العاطفة ويغذيها حتى لا تخمد أو تفتر ، فإن فتور المودة ، وخمود العاطفة ، قد يتسلل منه الشيطان إلى القلب فيزرع الضغينة ، ويوجه النظر إلى العيوب والمساوىء ، ومن هناك تنفرج الزاوية ، ويبدأ الخطر إن لم يتداركهما الله برحمته .

فالمحبة تخفي العيوب ، والمحب يرى مساوىء محبوبه حسنات ، بل يكاد لا يرى له عيباً[1] ، وذلك كحب الأم لولدها ،

---

(١) قال الشاعر :

وعينُ الرضا عن كلِّ عيب كَلِيْلَةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا

فهي ترى ولدها أجمل الأطفال ، ولو كان أعمى وأصم وأعرج ، ولا ترضى به بديلاً ، ولو خُيِّرت أن تتركه وتستبدل به ولداً صحيحاً سليماً ، لما رضيت بالاستبدال ، فولدها هو محبوبها ، وهي متعلقة به رغم ما فيه ، والسر في هذا التعلق والتغاضي عن المساوىء والعيوب هو صدق العاطفة وإخلاص المحبة .

وبالمثل لو أحب كل من الزوجين الطرف الآخر لعاش كلٌّ منهما وهو لا يكاد يرى في زوجه عيباً .

روى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ألا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ في الجَنَّةِ ؟ » .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : « النَّبِيُّ في الجَنَّةِ ، والصِّدِيقُ في الجَنَّةِ ، والرَّجُلُ يزورُ أخاه في ناحيةِ المِصْرِ[1] لا يزورُه إلا لله في الجَنَّةِ .

ألا أُخْبِرُكُمْ بِنِسائِكُمْ في الجَنَّةِ ؟ » .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : « كُلُّ وَدُوْدٍ وَلودٍ ، إذا أُغْضِبَتْ أو أُسِيْءَ إليها ، أو غضبَ زوجُها قالت : هذِه يدي في يدِك ، لا أكتحلُ بِغُمْضٍ[2]

---

(١) أي الجهة أو الضاحية من المدينة أو القرية .

(٢) أي لا تذوق عيني طعم النوم .

حتى ترضَىٰ » .

وكيف تصبح المرأة ودودة ؟

تصبح ودودةً حينما لا تبالغ في الخصومة ، وتعلو وجهها الابتسامة الحانية ، ولا تداوم على الخلاف في الرأي والجدال في كل صغيرة وكبيرة ، فقلَّما تخلو الحياة من خلاف بين الزوجين ، وقد حدث هذا بين النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين ، ولكن الخلاف لم يفسد الود ، والرغبة في الإصلاح كانت كامنة في القلوب ، وهذا ما جعل أمد الخلاف لا يطول ، فرب مشكلة عميقة دبت بين الزوجين ، ولكنها ذابت بكلمة طيبة ، أو ابتسامة على الوجه ، أو لمسة حانية ، فإذا هي سحابة صيف ، سرعان ما تنكشف ، ويرجع الجو صحواً إلى سماء الحياة .

وهنا يظهر دور المرأة الودود ، التي لا تتمادى في الغضب ، ولا تصر على العناد ومخالفة الزوج ، بل تتودد إليه حتى تسترضيه ، وليس ذلك انهزاماً وتنازلاً عن الكرامة كما يسول الشيطان لبعضهن ، بل هو القلب الكبير ، والصدر الواسع ، والحنان الغامر الذي لا يعكره شيء ، إنك إن وضعت قطرة حبر أسود في كوب ماء لغيرته ، أما إذا وضعتها في بحر واسع فإنها لا تغيره ، وهكذا يكون صدر المؤمنة واسعاً كالبحر ، لا يعكره ولا يغيره شيء .

وكلما بالغت في الود تجلب به رضا زوجها عنها ، فإنها في

المقام الأول تجلب رضا ربها عنها ، وكما أن رضا الوالدين من رضا الله ، فإنَّ رضا الزوج عن زوجته من رضا الله أيضاً ، وهذا ما تؤكده بعض الآثار : « أيَّما امرأةٍ ماتتْ وَزَوْجُها عنها راضٍ إلَّا قيلَ لها : ادْخُلِي مِنْ أيِّ أبوابِ الجَنَّةِ شِئْتِ » .

وفي حديث آخر يوصي فيه إحدى النساء بزوجها : « كيفَ بِزَوْجِكِ وهو جَنَّتُكِ أو نَارُكِ » أي هو بابها إلى الجنة برضاه عنها ، أو بابها إلى النار بسخطه عليها .

* * *

٦ ـ القانتة

قال ابن مسعود رضي الله عنه : القانت : المطيع لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ .

وجاء وصف القنوت للمرأة الصالحة في قوله تعالى : ﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

و (القانتات) هنَّ المطيعات لله ، القائمات بحقوق الزوج . وجاء وصف القانتات في معرض المغفرة والأجر العظيم لأصحاب الصفات الذين ينالهم موعود الله تعالى في قوله : ﴿ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

والمؤمنة الصادقة لا تتعالى على زوجها ، ولا تتكبر عليه ، وإنما تغلب عليها صفة القنوت ، وهو الطاعة في سكون وخشوع ، لأن طاعتها له من طاعة ربِّها ورضاه عنها .

ولا يشير هذا إلى معنى الذل والمسكنة ، بل يشير إلى التواضع والمرحمة ، فكرامة المرأة من كرامة زوجها ، والتي تحترم زوجها إنما تحترم نفسها ، وترفع من شأنها وقدرها ، لأنها

قد خالفت شيطانها ، واستعلت بإيمانها على نزوات نفسها ، فالشيطان قد يتلاعب بالمرأة ، ويزين لها عصيان الزوج ، والاستعلاء عليه تارة بحجة المساواة ، وتارة من باب حفظ المكانة والكرامة ، وتارة يصوِّر لها أن طاعتها لزوجها قهر واستعباد ومهانة ، وهذه كلها من نسج الشيطان ، ووساوس النفس الأمارة بالسوء ، حتى يقوِّض أركان الأسرة ، ويزرع فيما بينهما معارك وهمية ليس فيها غالب ولا مغلوب ، بل كل من يدخلها مهزوم ومقهور لا محالة .

روى أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صَلَّتِ المرأةُ خمسَها ، وصامَتْ شهرَها ، وحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قيلَ لها : ٱدْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ الأبوابِ شِئْتِ » .

وأخرج الطبراني والبزَّار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ جاءته امرأةٌ فقالت : إنّي رسولُ النساءِ إليك ، وما منهنَّ امرأةٌ علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك . اللهُ ربُّ الرجالِ والنساءِ وإلههنَّ . وأنتَ رسولُ اللهِ إلى الرِّجال والنساءِ . كتبَ اللهُ الجهادَ على الرِّجالِ ، فإن أصابوا أَثْرَوْا[1] ، وإن استشهدوا كانوا أحياءً عند ربهم يُرْزَقُوْنَ . فما يَعْدِلُ ذلك من

---

(١) أي صاروا أثرياء أغنياء بما أصابوا من غنيمة .

أعمالِهم من الطَّاعةِ ؟

قال : « طاعةُ أزواجهنَّ ، والمعرفةُ بحقوقهنَّ . وقليلٌ منكنَّ مَنْ يفعلُه » .

فالمرأة الصالحة تطلب المساواة ليس في المناصب ومزاحمة الرجال ، وإنما في الأجر والمثوبة والدرجة عند الله ، والصالحة منهن هي من هذا القليل ، الذي يغالب هواه ، ويجاهد نفسه ، حتى تصوغ حياتها على منهج ربها .

إن هناك طاعة مع استعلاء ، وعدم الرضا ، والشعور بالإكراه عند القيام بأي عمل أو صنيع ، وهذه ليست صفة المرأة القانتة ، فربما تطيع المرأة زوجها خوفاً من عقابه ، أو طمعاً في عطائه ، وإنما المؤمنة تطيعه لوجه الله ، وليس لوجهه هو ، وطاعتها له مع المحبة ، وليست مع الكره والسخط .

والطاعة مع المحبة لا يشعر صاحبها بالفتور مهما طال الزمن ، أما إذا كانت مع الكراهية فإن أمدها قصير ، ولو استمرت فهي لصاحبها كالقيد والغل ، ينتظر متى ينكسر حتى يتحرر منه ، وهذه ليست من صفات القانتات اللاتي يتلذذن بطاعة أزواجهنَّ بالهدوء والسكينة ، لأن ذلك هو الباب الذي يدخلهن إلى رحمة الله الواسعة .

* * *

٧ ـ الحافظة للغيب

المرأة التي يغيب عنها زوجها تدخل دائرة امتحان صادق ؛ حيث يظهر معدنها ، وحقيقة ما في قلبها تجاه ربها ، ثم تجاه زوجها ، فالزوج هو ولي أمرها ، وله حق الطاعة عليها ، وهي في حضرته ترى عينه ترقب حركتها ، وتشاهد أفعالها ، وأما في غيابه فالله تعالى لا تغيب عنه ، لا في حضور زوجها ، ولا في غيابه ، وهنا يبرز فعل الإيمان في النفوس ، الذي يصوغها صياغة عجيبة ، تجعلها صادقة في جميع أفعالها ، سواء رآها الناس أو غفلوا عنها ، وهي تراقب ربها في السر والعلانية ، وترى نظره أقرب إليها من نظر الآخرين .

جاء ذكر هذه الصفة في الآية الكريمة : ﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] أي الحافظات في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في أنفسهن وماله ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ أي بحفظ الله إياهنَّ بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه ، فمن حفظ أمر الله حفظه الله ، ولاحظته عنايته وكرمه وعطاؤه . « احفظِ اللهَ يحفظْكَ ، احفظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ »[1] .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

إن محافظة المرأة لما اعتادت عليه من الخير والطاعة ، أو حفظ نفسها بالعفة والمروءة ، أو حفظ رعيتها وأولادها بالاهتمام والرعاية ، كلٌ ذلك عبادة وقربةٌ تتقرب بها إلى الله ، وليس إلى زوجها .

فهي لا تحفظ ما يجب حفظه خوفاً من عقاب زوجها ، أو قطعاً لألسنة من يحيطون بها من أفراد أسرتها وجيرانها ومجتمعها ، وإنما حفظها لأمانتها ينبع من إيمانها بربها ، ومراقبتها له في السر والعلانية ، فهو سبحانه الرقيب على قلوب العباد ، والمستحق للعبادة والطاعة والمراقبة وحده دون غيره من خلقه .

فالمرأة الصالحة عفيفة طاهرة ، وخاشعة عابدة ، وراعية لذريتها وبيتها ، سواء كان ذلك في محضر زوجها ، أو في غيابه ، فهي إذا عبدت وأطاعت تعبد وتطيع لترضي ربها ، لا لترضي زوجها ، وإذا كانت عفيفة طاهرة فهذا لمرضاة ربها ، وليس فقط لحفظ سمعتها ، إذا قامت بحقوق أبنائها وشؤون بيتها تفعل ذلك لا لأنها خادمة أو جارية ، بل تبتغي بذلك الأجر والمثوبة من ربها ، فهذا التصحيح للنوايا والمقاصد قد يدرأ أبواباً كثيرة من الفتن التي يمكن أن تعصف بكثير من البيوت الآمنة .

كم من رجال تغيبوا عن أزواجهم أزمنة طويلة ، إما لجهاد في سبيل الله ، أو لمصلحة شرعية محمودة ، ونساؤهم كن على

العهد ، لم يخن ، ولم يغيرن من طبيعتهن ، بل كن يحتسبن الأجر عند غياب أزواجهن لدعوة أو طاعة أو منفعة تعود على الأمة بأسرها ، فالمرأة تحبُّ قرب زوجها ، ولكنَّها لخدمة الدين تضحي بقربه منها ، وترجو الأجر من الله الذي لا يضيع من التجأ إليه ، ولاذ بحماه .

وهذه هاجر حينما تركها الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في واد لا زرع فيه ولا ماء ، ولا أهل ولا عشيرة ، فهل خانت العهد ، وهربت بولدها ؟؟ وهل تضجرت وخالفت وجادلت من وحدتها مع صغيرها في مظنة الهلاك ، حيث لا زاد ولا مغيث ؟ بل قالت لزوجها : اذهب فلن يضيعنا الله .

وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزورها ، ولا يلبث إلا قليلاً ، ولم يشهد موتها ، ولا زواج إسماعيل عليه السلام ، ولكنَّها كانت وفية بالعهد ، قائمة بحقوق ربها وزوجها[١] .

* * *

---

(١) انظر قصة فروخ والد ربيعة بن أبي عبد الرحمن ص (٥٨) من هذا الكتاب .

٨ ـ العابدة

لا معنى للصلاح بلا عبادة ، ولا للعبادة بلا صلاح . فكل عابد صالح ، وكل صالح عابد . فهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالعبادة أصل الصلاح ، ولن تكون المرأة صالحة إلا إذا كانت عابدة .

والعبادة بوصفها الجامع الشامل المحيط هي كل طاعة يحبها الله تعالى ، وتقربنا إليه ، سواء في ذلك ما فرضه علينا ، أو سنه لنا رسوله ﷺ ، أو تطوع به العبد من نفسه ابتغاء وجه ربه مشروطاً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وصفة العبودية من أعلى المراتب التي يصل إليها المؤمن ، والعبد لا اختيار له أمام سيده ، فهو بين يديه يطيع أمره ، ويسارع في هواه ، ولا يرفضُ له طلباً ، ويقدم رغبة سيده على رغبته .

والعابد قد تحرر من أسر شهوته ، وسجن نزوته ، وأصبح بعبوديته لله وحده مطمئن القلب ، ساكن الفؤاد ، ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٩] ، وهكذا لا يستوي من له أسياد كثر ، كل منهم له هواه ورغبته ، وهو عبد لهم جميعاً ،

وعليه أن يرضي كلاً منهم . وبين عبد له سيد واحد ، لا يملكه غيره ، فذاك ممزَّق مشتت بين أهواء كثيرة ، وهذا آمن مستقر عند رغبة واحدة وآمر واحد .

ومن صور العبادة التي جاء ذكرها في وصف الصالحات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . فالصدقة ، والصيام ، والذكر من العبادات التي تُفضي إلى الخشوع والفقه والصدق والصبر .

ومما ذُكر في مناسبة هذه الآية ما رواه النسائي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : يا نبيَّ الله ما لي أسمع الرجال يُذكرون في القرآن والنساء لا يُذكرن ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ . . . ﴾ الآية .

وقدوة العابدات هي مريم ابنة عمران ، العذراء البتول ، حيث ذاقت حلاوة طاعة الله في مهدها ، واختارها الله لتكون وابنها آية للعالمين .

وتاريخ هذه الأمة كله حافل بالعابدات الصالحات اللاتي قمن بحقوق العبودية لله دون التقصير في حقوق أزواجهن وأولادهن .

فمن العبادة التي تطهر القلب ، وتزكي النفس ، وتكون صفة ملازمة للمرأة الصالحة :

١ ـ **ذكر الله** : كالتسبيح والتهليل والاستغفار ، وليكن لها من ذلك ورد بعد الفجر ، وبعد العصر ، فتسبح مئةً ، وتستغفر مئةً ، وتصلي على النبي ﷺ مئةً .

٢ ـ **قراءة القرآن** : في اليوم جزء حتى تختمه كل شهر مرة ، وإن كانت أمية لا تقرأ فعليها أن تسمعَ كل يوم جزءاً ، فقد جاء في الأثر : « من استمعَ إلى آيةٍ من كتابِ اللهِ كتبتْ لهُ حسنةٌ مضاعفةٌ ، ومن تلاها كانتْ له نوراً يومَ القيامةِ » أخرجه أحمد عن أبي هريرة .

٣ ـ **أداء الفرائض في أوقاتها** : لا تتخلف عنها انشغالاً بضيف ، أو تعللاً بالمشاغل البيتية ، فأمر الله أولى أن يقدَّم على غيره ، وما تقرب عبدٌ بشيءٍ أحب إلى اللهِ مما افترضَه عليه .

٤ ـ **أداء السنن والنوافل قبل المكتوبات وبعدها** : وكذا سنة الضحى والوتر والتهجد بالليل .

٥ ـ **الصيام** : كالإثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وستة أيام من شوال .

وتراعي أنه لا يحل لها صيام التطوّع وزوجها حاضر إلا بإذنه .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال

رسول الله ﷺ : « لا يَحِلُّ لامرأةٍ أن تصومَ وزوجُها شاهِدٌ إلَّا بإذنِهِ ، ولا تأذنَ في بيتهِ إلا بإذنهِ » .

٦ ـ الصدقة : وهي تطفىء غضب الرب ، وتمحو كثيراً من الخطايا التي تقع فيها النساء ، إما لغفلة ، أو جهل ، أو غلبة هوى ، لذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عنه ابنُ عمر : « يا معشرَ النساءِ تصدَّقنَ ، وأكثرنَ الاستغفارَ ، فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النَّارِ » .

قالت امرأةٌ منهنّ : ما لنا يا رسول الله أكثرَ أهل النار ؟

قال : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وتَكْفُرْنَ العَشِيْرَ ، ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍّ منكنَّ » .

قالَت : يا رسول الله وما نقصانُ العقل والدين ؟

قال : « أما نُقْصَانُ العَقْلِ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ ، وتمكُثُ اللَّيالِيَ ما تُصَلِّي ، وتُفْطِرُ في رَمَضَانَ ، فهذا نُقْصَانُ الدِّيْنِ » رواه مسلم .

العبادة هي الزاد الذي يعطي للمؤمن قوة الدفع ليستمر على الطاعة ، فالاستقامة خير من ألف كرامة ، وفتن الدنيا كالأمواج العاتية ، لا يصمد أمامها إلا أصحاب الهمم العالية ، والهمة رزق من رزق الله ، والعبادة سبب فيها ، فمن سارع إلى الطاعة سارع الله إليه برحمته وعونه توفيقه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

والعبادة إذا كانت صحيحة على منهاج النبوة فإنها تثمر احتراماً للزوج ، ورحمة وشفقة على الذرية ، والتزاماً وجدية في الطاعة ، دون التنازل عن أي جزئية من جزئيات الحق ، تحت ظروف البيئة الفاسدة ، والعرف الباطل .

آفة العبادة : وأما إذا أثمرت العبادة غروراً في النفس ، وكبراً واستعلاءاً على الزوج ، وإهمالاً للذرية ، وتفريطاً في الحقوق ، فهذه عبادة تحتاج إلى تصحيح قبل أن تُرد على وجه المرأة المغرورة ، التي تظن أنها تحسن صنعاً .

إن آفة العبودية هي الغرور والاستعلاء ، الذي يملأ النفس حتى تنتفخ ، وتجد في العبادة ذريعة تحتقر بها الآخرين ، أو تتفلّتُ بها من الحقوق الشرعية المفروضة عليها ، فالذي يعبد يجب أن يطيع لله لا للنفس ، وأن يتخلّق بأخلاق العابد الخاشع ، لا أن تكون صورته صورة ملاك ، وباطنه صورة شيطان مريد .

والعبادة لذلك مبناها على العلم والمعرفة ، وفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ومدارسة العلم عبادة ، وطلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة ، وكل عبادة لا تبنى على علم فربما انقلبت إلى معصية بما يدخلها من غرور ورياء وسمعة .

وإذا كانت المرأة الصالحة عابدة ، فهي عابدة خاشعة فقيهة بدينها ، لا تزيدها العبادة إلا طاعة للزوج ، ومعرفة بحقه ، ثم قيامها على رعيتها من بيت وذرية ، فكلّما زادت عبادتها زاد

تواضعها ، وقلَّ غرورها ، وهنا تكون قد عبدت ربها حقَّ عبادته ، وخالفت هواها إذعاناً وتسليماً لمرضاة خالقها وبارئها[١] .

* * *

(١) انظر سيرة العابدات في كتابنا « الصفوة في حياة خيار النسوة » .

٩ ـ الداعية إلى الله

الإيمان ليس عقيدة راكدة داخل الصدور ، ولكنه عقيدة حية تعلن عن نفسها سلوكاً في واقع الحياة ، يظهر على الجوارح ، ودعوة للآخرين تضيء قلوبهم بنور اليقين ، حتى لا تزلَّ الأقدام .

وإذا كانت الدعوة إلى الله أمانة وتكليفاً ومسؤوليةً على هذه الأمة ، فإنها تقع على عاتق الرجال والنساء معاً ، فهم شركاء في الانتفاع بثمرات هذه العقيدة ، ومن الأنانية أن يستأسر بها أحد لنفسه ، دون أن يدلَّ الآخرين عليها ، والدال على الخير كفاعله .

ومن التخليط المرفوض أن تنعزلَ المرأة عن ركب الدعوة ، وأن تكون على هامش الحياة ، لا تعرف من هموم الأمة شيئاً ، فالمرأة تملك قوة العاطفة ، وهذه القوة تحرك أمماً وأجيالًا ، إما إلى الحق ، وإما إلى الباطل ، ومن هنا جاءت الدعوة إلى الله عامة ، تستنفر جميع القوى في هذه الأمة ، حتى يعلو الحق ، ولا يعلو عليه غيره ، فكم من الطاقات المهدرة تضيع على الفروج والبطون ، بينما لو فُتح لها الباب لخدمة الدين ، لتغيرت معالم الدنيا ، وظهرت الأرض بمن عليها في لون جديد وصورة طاهرة نقية تقية .

إن الولاية في الدين أو الموالاة من أهم معانيها التعاون على البر والتقوى ، وشد الأزر على الطاعة ، ورفع الهمم لتحمُّل مشاق الطريق ، فالفرد قليل بنفسه ، كثير بإخوانه ، والطائع إذا رأى غيره معه في طريق الحق ، فإنه يستأنس به ، ولا يستوحش من بُعد الطريق .

قال الله تعالى يصف من سيتعرضون لرحمته ، ويفوزون بمغفرته ورضوانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] ومعنى ﴿ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ : أي يتناصرون ويتعاضدون ، فالآية قد ذكرت أربع صفات هي من مؤهلات الرحمة :

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ إقامة الصلاة .

٣ ـ إيتاء الزكاة .

٤ ـ طاعة الله ورسوله ﷺ .

فالمرأة ليست عضواً مشلولًا في جسد الأمة ، وهي ليست عاطلة محصورة لإعداد الطعام وتهيئة الفراش للمنام ، بل لها شأن في إشاعة المعروف ، والقضاء على المنكر ، حيث إنها تحتك بقطاع عريض من أبناء الأمة ، فهي الأم والأخت والزوجة والبنت ، وإذا نظرتَ في كل هذه الأطوار وجدتَ لها أكبر الأثر

في قلوب من حولها ، فالأم لها محبة ووقار ، والأخت لها معزة واحترام ، والزوجة لها شعبة من القلب ، حيث عندها يكون السكن والمودة والرحمة . والبنت لها دلالها وجاذبيتها في قلب أبيها . فهذا الدرع الواقي هو الذي يحمي ظهر الأمة ، حتى لا تأتيها الطعنة من خلفها . ولذلك حينما أراد أعداء الدين النفوذ إلى قلب الأمة ، وجدوا بعد جهد مستميت أن نقطة الانطلاق تبدأ من المرأة . لما لها من جاذبية وسلطان على القلوب . إما سلطان المحبة ، وإما سلطان الهيبة ، وإما سلطان الدلال والمودة .

والتاريخ نستسقي منه عبرة تضيء لنا الواقع ، فالذي لا أصل له لا ثمرة له . وحينما أراد الله إنقاذ بني إسرائيل من بطش فرعون جاءت التضحية الأولى من أم موسى ، حينما قبلت أن تلقي ولدها في البحر امتثالاً لأمر الله . وحينما أراد الله أن يبني بيته في الأرض كانت التضحية من هاجر التي قبلت راضيةً فراق زوجها . وهي وحيدة مع ولدها في صحراء جرداء ، هي مظنة الموت والهلاك .

وأول من آمن بالنبي ﷺ خديجة . وأول شهيدة في الإسلام سمية .

وحينما دعا الرسول ﷺ : « اللهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحدِ العمرين عمرَ بنِ الخطاب أو عمرِو بن هشامٍ » أنزل الله الهداية على قلب عمر بن الخطاب . وكان سببُ هدايته أختُه فاطمة حينما ذهب إليها ، وضربها حتى أدمى وجهها .

فالمرأة الصالحة تقود أمة كاملة إلى البر والتقوى ، والمرأة الفاجرة تقود أمة كاملة إلى الفجور والضلال ، روى أبو نُعيم في « الحلية » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بِرَّ المرأةِ المؤمنةِ كعملِ سبعينَ صدِّيقاً ، وإنَّ فجورَ المرأةِ الفاجِرَةِ كفجُوْرِ ألفِ فاجرٍ » .

وكيف تدعو المرأة المؤمنة الصالحة إلى الله ؟

وسائل الدعوة هي : **القدوة** ، **والحكمة** ، **والكلمة الطيبة** ، وتأخذ هذه المراحل حتى تصل إلى المقصود :

١ ـ **الأُلفة والمحبة بينها وبين من تدعوه من النساء الأخريات** ، فالأُلفة هي الجسر بين الداعي والمدعو ، وعلى هذا الجسر ينتقل الفكر من القلب إلى القلب ، وإذا انكسرت هذه الجسور ، انقطعت الصلة بين الداعي والمدعو ، فيصبح الكلام كله مرفوضاً ، لا يصل إلى القلب حتى ولو كان حقاً ، لأن المعبر الذي سيعبر عليه قد سقط وانهار .

وهذه المحبة ينبتها الإكرام والعطاء والبذل والإنفاق .

٢ ـ ثم تأتي **مرحلة الكلام والبيان** ، وهنا يُراعى التدرج والحكمة ، والبدء بجلاء القلوب بذكر الغيب ومنافع الإيمان وأهمية الدين ، وضرورة الفهم لمقصد الحياة ، وأن وراء هذا الوجود غاية ، ولله مراد من خلقه ، ثم البيان في التوحيد والعقيدة عن قدرة الله وعظمته ، ودلائل كبريائه ، ودقة صنعته ، فهذا

الترسيخ لجذور الإيمان يملأ القلب بعظمة الآمر ، ومن بعدُ سيسهل على المستمع امتثال الأوامر .

٣ ـ ثم مرحلة التكاليف بذكر المطلوب منا ، وأنه عِزٌّ لنا وليس قيداً يكبِّل أقدامنا ، فهذا الدين جاء لييسر علينا الخطى في الحياة ، ويجنبنا مواطن الزلل ، ويفتح لنا الطريق لنتمتع بطيبات الحياة دون أن نكون أعداء لنعمة الله ، فالذي يستعمل النعمة في مرضاة ربه فقد شكرها ، ومن استعمل النعمة في سخط الله فقد كفرها ، وبعض الناس أعداء لنعمة الله بعصيانهم وشرورهم ، حتى ينتهي بهم المصير إلى زوالها من أيديهم ، وانتقالها إلى غيرهم .

المرأة الداعية إلى الحق لا يشترط فيها البلاغة ولا غزارة المعلومات ، وإنما يشترط فيها همٌّ صادق يملأ قلبها بأهمية الدين ، وعاطفة تملأ كيانها بقيمة دورها في حفظ دينها ، وإخلاص لا يخالطه سمعة ، يعطيها قوة دافعة للسير مهما واجهت من محن وعقبات وشدائد ، وحكمة وشفقة ورفق يجعل كلامها مقبولاً ، ولو كان الحق الذي تدعو إليه مُراً ، وقبل هذا كله اليقين الذي يغمر فؤادها أن الهداية لها أسبابها ، ومن أسباب هدايتها أن تدعو لدينها ، حتى تحفظ نفسها من شرور الفتن ، وتصبح سفينة نجاة تنتشل الغرقى ، وهم يصارعون الموت تحت أمواج الشهوات وعواصف الإغراء .

* * *

١٠ ـ الراعية لبيتها والمدبرة لمعاشها

الرعية أمانة في العنق ، وعليها مساءلة يوم القيامة ، والبيت هو رعية المرأة التي تُسأل عنها ، فرعاية الزوج في طعامه ومنامه وراحته وإعانته على طاعة ربّه أمانة ، وتعليمُ الأولاد حب الله وحب رسوله ﷺ ؛ وتوقير الدين ؛ واحترام الأب أمانةٌ ، وتهيئةُ البيت ؛ ونظافته وهدوءه ليكون محلاً للراحة والسكن أمانةٌ ، وصيانةُ أثاثه ؛ والاقتصاد في النفقة ؛ وتدبير المعاش أمانةٌ ، وهذه الأمانات هي ميدان السؤال يوم القيامة كيف كان القيام عليها ، والمحافظة على أدائها .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّكُمْ راعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عن رَعِيَّتِهِ ، الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرجلُ راعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بيتِ زَوْجِهَا ومَسْؤُوْلةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، والخادِمُ راعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ راعٍ ، ومَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه .

ومن أراد أن يعرف كيف تكون الرعاية في أعظم صورها ، فإنه لن يجد في هذا المقام سوى خديجة أم المؤمنين ، التي قامت

برعاية زوجها ﷺ وبيتها وأولادها خيرَ قيام ، وفرَّغت النبي ﷺ لمسؤولية الدعوة ، ولم تشغله بهموم البيت ، فاستحقت بذلك محبة ومكانة في قلبه جعلته لا ينساها بعد مماتها ، وهذا فوق مالها من كرامة عند ربها يوم تلقاه ، حيث بشرها جبريل عليه السلام ببيت في الجنة من قصب ـ وهو اللؤلؤ المجوَّف ـ لا صخب فيه ولا نصب .

وفي بطون الكتب عجائب لنسوة صالحات خرج من بيوتهن أئمةٌ ، أضاؤوا لهذه الأمة سبل الهداية ، وكان ذلك من حسن رعايتهن لأمانتهن .

ومن ذلك ما حكاه ابن الجوزي في كتابه « صفة الصفوة » (١٤٨/٢) : أنَّ فرّوخ والد ربيعة بن أبي عبد الرحمن خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً ، وزوجته حامل بربيعة ، وخلَّف معها ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً ، وفي يده رمح ، فنزل عن فرسه ، ثم دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة فقال له : يا عدو الله أتهجم عليَّ في منزلي ؟ فقال أبوه: يا عدوَّ الله أنت رجل دخلت على حرمي ، فتواثبا ، وتلبَّبَ كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، وبلغ ذلك مالكاً والمشايخ فأتوا يعينون ربيعة ، وجعل ربيعة يقول : لا أتركك إلا عند السلطان !! ويقول أبوه : لا أتركك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي .

وكثر الضجيج ، فلما أبصروا بمالك سكت الناس كلُّهم ،

فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار . فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت : هذا زوجي ، وهذا ابنه الذي خلَّفه وأنا حامل به ، فاعتنقا وبكيا ، وقال لزوجته بعدما دخل البيت هذا ابني ؟ قالت : نعم ، قال : أخرجي المال الذي عندك ، وهذه معي أربعة آلاف دينار ، فقالت : المال دفنته ، وأنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس في حلقته ، وخرج أبوه إلى حلقة عظيمة ، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لا يراه ، فرجع إلى البيت معجباً بولده ، ويقول لزوجته : رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل الفقه والعلم عليها .

قالت : فأيُّما أحبُّ إليك ، ثلاثون ألف دينار ، أو هذا الذي هو فيه من الجاه ؟ قال : لا والله إلا هذا ، قالت : فإني أنفقتُ المال كلَّه عليه ، قال : فوالله ما ضيَّعتيه .

وهكذا المرأة الصالحة في بيتها تعرف كيف تبنى عقولاً وقلوباً قبل أن تغذي بطوناً وأجساماً ، وتعرف طريقها في القيام بحقوق رعيتها ، وتهتدي بنور فطرتها إلى إنفاق المال في الوجوه المشروعة ، التي يعود نفعها على أسرتها وأمتها ، والثمرة الطيبة من هذه الرعاية الطاهرة هي رجل ذو همة يحيي الله به أمة .

* * *

١١ ـ المربية لأولادها

الأم هي المدرسة الأولى في الحياة ، التي يتخرَّج منها الأجيال إلى ساحة الدنيا . فالأبناء يمتصُّون القيم من جذورهم الأولى . فإن طابت الجذور طابت ثمارها ، وإن فسدت الجذور فسدت ثمارها ، والأم تغذي أبناءها بالمفاهيم والتصورات ، وترضعهم غذاء الأرواح ، كما ترضعهم اللبن غذاء الأبدان .

والأم الصالحة هي الوجه الأول على عتبة الحياة التي يلتقي بها الطفل ، ويبدأ عندئذ في المحاكاة والتقليد ، ويستقي كل معلومة جديدة من أمه ، التي تلازمه تلازم الليل والنهار .

ومن هنا فالذي يبتغي ذرية صالحة تشرِّفه ويشرُفُ بها يبدأ من اختيار الزوجة . لأنها مصنع الرجال ، ومربية الأجيال .

والمرأة داخل بيتها هي القدوة والمثال الذي يُحتذى به ، فإن كانت مستقيمة في عهدها مع ربها ، ملتزمة في خاصة نفسها بدينها وعبادتها وأخلاقها وسلوكها ، فإنَّ هذه القدوة سوف تنضح على الذرية هذه الاستقامة وتلك الجدية في التمسك بدين الله . والاعتصام بحبله المتين .

ومنهج التربية مع الأولاد منثور في بطون الكتب وصفحات

التاريخ . ويمكن أن نهتدي بهذه الوصايا لعلها تنفع الأمهات في حفاظة فلذات الأكباد :

١ ـ القدوة في التربية ، والاعتناء بارتباط القول بالعمل ، فلسان الحال أبلغ أثراً ، وأعمق فهماً . من لسان المقال . وما يراه الطفل بعينيه حال الصغر ، يظل محفوراً في الذاكرة ، لا يبلى مع الأيام . ولا يُنسى مع مرور السنين .

٢ ـ ترغيبُ الأولاد في مجالسة الصالحين وصحبتهم ، ومحبة أهل الدين وتعظيمهم واحترامهم ، وإرسالهم إلى حلق العلم ، وغرس الوقار في قلوبهم للعلماء والأئمة الصالحين .

٣ ـ بذل الجهد لتحفيظهم القرآن ، أو جلب من يعلمهم القرآن في البيت ، فهذا خير ميراث يتركه الوالدان لأولادهما .

روى أبو داود والحاكم عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ القرآنَ وعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ والداه تاجاً يومَ القيامةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في بيوتِ الدنيا ، فما ظَنُّكُمْ بالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا » .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرآنَ وتَعَلَّمَهُ ، وعَمِلَ بِهِ ، أُلْبِسَ والداهُ تاجاً مِنْ نُوْرٍ ، ضوْؤه مثل ضوءِ الشَّمْسِ ، ويُكْسَىٰ والداه حُلَّتَيْنِ ، لا تقومُ لهما الدُّنيا ، فيقولان : بِمَ كُسِيْنا هذا ؟ فيقال : بِأَخْذِ ولَدِكُمَا القرآنَ » رواه

الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وأخرج الترمذيُّ وابنُ ماجه بإسنادهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القرآنَ فاسْتَظْهَرَهُ[1] ، فَأَحَلَّ حَلالَهُ ، وحَرَّمَ حَرَامَهُ ، أَدْخَلَهُ اللهُ بِهِ الجَنَّةَ ، وَشَفَّعَهُ في عَشْرَةٍ مِنْ أهلِ بَيْتِهِ ، كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتَ له النَّارُ » .

٤ ـ تعليم الآداب الشرعية للعادات اليومية ، مثل أدب الاستئذان ، وآداب الطعام والمنام ، وآداب الدخول إلى الخلاء ، والخروج منه ، وآداب الخروج من البيت ، والدخول فيه ، وآداب المساجد ، ومعاملة الكبار ، وكذلك تعليم الأدعية المأثورة ، والأذكار المسنونة ، حتى يصبح مميَّزاً من صغره في عاداته وسلوكه وفهمه وتصوراته .

إن كثيراً من الأئمة والصالحين الذين أضاءوا لهذه الأمة طريقها ، وكانوا منارة يستدِل بها الحيارى على بر الأمان ، كان وراءهم نساء صالحات ، وأمهات عابدات خاشعات ، فكم من رجال وقادة ، كان للمرأة دور في تربيتهم ، حتى صاروا في هذه الأمة أعلاماً وسادة .

قالت أم سفيان الثوري لولدها سفيان : يا بنيَّ اطلب العلم ، وأنا أكفيك بمغزلي ، وقالت له : يا بنيَّ إذا كتبت عشرة أحرف

---

(١) أي حفظه عن ظهر قلب .

فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم يزدك ، فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك .

وهذه أسماء ذات النطاقين ، قد بلغت السابعة والتسعين من عمرها ، ويُحاصَر ابنها عبد الله بن الزبير في الحرم ، ويصبح في موقف حرج ، فيذهب إلى أمه يستشيرها في الموقف ماذا يفعل ؟

فقالت تلكم الأمُّ المؤمنة الصابرة : أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وتدعو إلى الحق ، فاصبر عليه حتى تموتَ في سبيله ، وإن كنت تريد الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك !!

قال : يا أماه والله ما أردت الدنيا ، وما جُرْت[1] في حكم ، وما ظلمت ، وما غدرت ، والله يعلم سريرتي وما في قلبي .

قالت : الحمد لله ، وإني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن سبقتني إلى الله عزَّ وجلَّ .

ثم تعانقا عناق الوداع ، وقالت له : يا بني اقترب حتى أشم رائحتك ، وأضم جسدك ، فقد يكون هذا آخر العهد بك ، فأكب على يديها ورجليها ووجهها يقبلها ، ودموعه تشتبك بدموعها ، وهي تتلمس ابنها وهي عمياء لا ترى ، ثم ترفع يدها وهي تقول : ما هذا الذي تلبسه ؟ قال : درعي ، قالت : يا بني ما هذا لباس

---

(١) ظلمت .

من يريد الشهادة في سبيل الله ، انزعه عنك ، فهو أقوى لوثبتك ، وأخف لحركتك ، والبس بدلًا منه سراويل مضاعفة حتى إذا صرعت لا تنكشف عورتك .

فنزع درعه ، وشد سراويله ، ومضى إلى الحرم لمواصلة القتال ، وهو يقول : لا تفتري عن الدعاء يا أماه . فرفعت كفها قائلة : اللهم ارحم طول قيامه ، وشدة نعيبه في سواد الليل والناس نيام ، اللهم ارحم جوعه وظمأه في هواجر مكة والمدينة وهو صائم ، اللهم إني قد أسلمته لك ، ورضيت بما قضيت فيه ، فأثبني فيه ثواب الصابرين .

ويذهب ابنها ، وبعد برهة من الزمن انقضت في قتال مرير غير متكافىء ، تلقى ابنها عبد الله ضربة الموت ، ليلقى الله عزَّ وجلَّ شهيداً ، ليس هذا فحسب ، بل يصلب جثمانه كالطود الشامخ في الحجون[١] .

وتسمع الأم الصابرة ذات السبع والتسعين سنة ، العمياء البصيرة ، وتذهب إلى ولدها المصلوب ، تتلمس الطريق حتى تصل إليه ، فتقترب منه ، وتدعو له .

وإذا بقاتله يأتي إليها في هوان وذلة ، ويقول لها : يا أماه إن الخليفة أوصاني بكِ خيراً . فتصيح به : لست لك بأم ، أنا أم هذا

---

(١) مكان بمكة .

المصلوب ، وعند الله تجتمع الخصوم .

ويتقدم ابن عمر رضي الله عنهما معزياً ومواسياً لها فيقول : اتق الله واصبري .

فتقول له بلسان المؤمنة الواثقة بوعد الله : يا ابن عمر ! وماذا يمنعني أن أصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل .

ما أعظم الأم ! وما أعظم الابن !

حقاً إن النساء محاضن الرجال ، بصلاحهن يصلح الرجال ، وبفسادهن يفسد الرجال . .

* * *

١٢ً ـ قرارها في بيتها

خلق الله تعالى المرأة لتكون أماً حانية ، وزوجة ودوداً ، وملكة متوجة على عرشها في بيتها ، فالدين أرسى أصول المساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب ، وليس في الزي وطبيعة الحياة ، فالمرأة قرارها وسكنها داخل بيتها ، وإن خرجت منه فلا تخرج إلا لضرورة ، دون أن تزاحم الرجال في الطرقات ، فالمؤمنة متميزة عن الفاجرة في فهمها وسلوكها ، ومشيتها ومزاجها ، وطريقة حياتها .

وليس القرار في البيت حبساً أو سجناً كما يصور الذين يخلطون الحق بالباطل ، ويضعون السم في العسل ، بل هو حفاظة للمرأة ، وترسيخاً لنظرة الإسلام لها ، حيث يراها جوهرة مصونة ، ودرة غالية ، يجب ألا تكون نهباً للعيون الشرهة ، والنظرات المغرضة .

وقد يتذرَّع من يريد إخراجها تحت ستار العبادة ، ولو خرجت إلى الطاعة وطلب العلم والصلاة فهي مأمورة أن تخرج بحجابها ، من غير زينة ملفتة للعيون ، وهذا هو سد الذرائع أمام الفتن ، حتى لا تُستغل العبادة لمفاسد قد تضيع أمامها كثير من المصالح والمنافع .

روى البزار والترمذي عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ المرأةَ عورةٌ ، فإذا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَها[1] الشيطانُ ، وأقربُ ما تكونُ بِرَوْحَةِ رَبِّهَا[2] وهي في قَعْرِ بَيْتِهَا » .

وفي حديث آخر : « لا تَمْنَعُوْا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ ، وَلْيَخْرُجْنَ وهُنَّ تَفِلاتٍ »[3] ـ وفي رواية ـ « وبيوتهنَّ خيرٌ لهنَّ » .

إن العطاء إذا قارنه الإخلاص والصدق فإن صاحبه سيجني من ورائه براً وعطفاً ، وحباً وحناناً وإحساناً ، لا توازيه كنوز الأرض ومغانم الدنيا ، والمرأة الصالحة في بيتها هي نبع العطاء لزوجها وأولادها ، وجزاء الإحسان هو الإحسان . وإن وجدت جحوداً ونكراناً للجميل ، فإن أعمالها وتضحياتها قد أحصاها من لا ينساها ، وإن وجدت جفوة من المخلوق ، فستجد جوداً وكرماً وعطاءاً من الخالق ليس له حدود .

وبعد : فهذه بعض معالم المرأة الصالحة التي تتوق إليها الأمة بأسرها ، وهي الثروة الغالية ، التي تتوق إليها نفوس الرجال .

---

(١) لزمها وصاحبها .

(٢) رحمته وقربه .

(٣) أي في غير زينة وتبرج .

فاللهمَّ اجعل نساءَ الأمَةِ كلهنَّ صالحات مصلحات تقرُّ بهن عيون الأزواج والأبناء ، والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل ، وله الحمد أولًا وآخراً ، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين .

●●●

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
فاظفر بذات الدين	١١
١ ـ ذات الدين	١٤
٢ ـ إذا نظر إليها سرته	١٩
٣ ـ إذا أمرها أطاعته	٢٤
٤ ـ إذا غاب عنها حفظته	٣٠
٥ ـ الودودة	٣٥
٦ ـ القانتة	٤١
٧ ـ الحافظة للغيب	٤٤
٨ ـ العابدة	٤٧
٩ ـ الداعية إلى الله	٥٣
١٠ ـ الراعية لبيتها والمدبرة لمعاشها	٥٨
١١ ـ المربية لأولادها	٦١
١٢ ـ قرارها في بيتها	٦٧
الفهرس	٧١

كتب للمؤلف

١ ـ مشكاة الدعوة ونصيحة الدعاة .

٢ ـ الحق المر .

٣ ـ الذكرى في علامات الساعة الصغرى والكبرى .

٤ ـ الصفوة في حياة خيار النسوة .

٥ ـ تحذير السالك من أسباب المهالك .

٦ ـ من هي المرأة الصالحة ؟

٧ ـ المرأة التي جنى عليها دعاة التحرر .

٨ ـ التحفة في خطب الجمعة .

٩ ـ فضائل الدعوة .

١٠ ـ النصيحة .

١١ ـ الأجوبة المسكتة .

١٢ ـ المخلاة .

١٣ ـ الحلول الشرعية في الخلافات الزوجية .

١٤ ـ وقفات في حياة الأنبياء .